**درس بعنوان: تفسير سورة الفلق**

**لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح**

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ،،

أما بعد، فهذا درس في شرح سورة "الفلق" ضمن دروس شرح قصار السور.

سورة الفلق ورد في فضلها ما سبق ذكره عند الكلام على سورة الناس، وسورة الفلق تسمى بهذا الاسم ،وذكر ابن عطية رحمه الله في تفسيره أنها تسمى أيضًا "المعوذة الأولى".

قوله تعالى **"قُلْ**" الخطاب للنبي ﷺ وهو لأمته من بعده .

**أَعُوذُ** أي: ألتجئ وأتحصن وأعتصم .

**بِرَبِّ** الرب هو الذي يربي خلقه، فهو الخالق الرازق المدبر المتصرف المنعم .

**الْفَلَقِ** أكثر المفسرين على أن المراد بالفلق هو الصبح، ورجحه جمع من المفسرين وهو المروي عن أكثر الصحابة، وقد قيل:

يا ليلةً لمْ أنَمْها بتُّ مُرتقبًا أرعى النجومَ إلى أن نوّر الفلقُ

وقيل: المراد بالفلق هو الخلق .

وقيل: واد في جهنم ولا دليل عليه .

وقيل: إن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى، كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن الأمطار، والأرحام عن الأولاد، وغير ذلك من الخلق، ويؤيد هذا القول الاشتقاق اللغوي، فإن الراغب في المفردات ذكر أن أصل الفلق من الفلق، والفلق شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض.

قوله تعالى ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ ما هذه موصولة بمعنى الذي، فيكون المعنى من شر الذي خلق، وهذا يعم كل ذي شر.

قوله عز وجل ﴿**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾ الغاسق الليل المظلم، وغسق الليل شدة ظلمته.

كما قيل:

إن هذا الليل قد غَسَقَا واشتكيتُ الهمّ والأرقا

وروى الإمام أحمد أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: **((يا عائشة استعيذي بالله من شر غاسق إذا وقب))** .

وهذا الحديث يؤيد من قال بأن الغاسق هو القمر.

ومعنى وقب أي: دخل، فيكون المعنى: ومن شر الليل إذا وقب.

قوله تعالى ﴿**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ النفاثات السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يسحرن .

والنفث: هو النفخ بلا ريق.

قوله تعالى ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ الحسد هو تمني زوال النعمة عن المحسود، والله عز وجل ذم الحاسد إذا حسد، والمعنى إذا تعدى بحسده، فبغى على المحسود بقول أو فعل، فيكون حينئذ محلًا للذم.

هذه السورة العظيمة تشتمل على لطائف:

**اللطيفة الأولى**: أن الله تعالى ذكر الاستعاذة برب الفلق، للإشارة إلى أن هذا الخلق جميعًا تحت قهر الله تعالى وفي ملكه، فإذا علم العبد ذلك وآمن به وأيقن، فإنه يهدأ ويسكن، ويستقر ويطمئن.

**اللطيفة الثانية**: ذكر الله عز وجل الفلق في قوله ﴿**قُلْ أَعُوذُ** **بِرَبِّ** **الْفَلَقِ**﴾ وعلى تفسير الفلق بأنه الصبح فإن فائدة تخصيص الفلق بالاستعاذة من وجوه:

الوجه الأول: أن القادر على إزالة هذه الظلمات عن العالم قادر سبحانه أن يدفع عن العائذ ما يخافه ويخشاه. الوجه الثاني: أن طلوع الصبح إشارة إلى مجيء الفرج .

الوجه الثالث: أن تخصيص الصبح بالذكر لأنه محل إجابة المكروبين وهو وقت النزول الإلهي.

**اللطيفة الثالثة**: ذكر الله تعالى الاستعاذة بالفلق وهو الخلق على قول، فالرب سبحانه يقول للمؤمن هذه المخلوقات التي تخافها والكائنات التي تخشاها أنا خلقتها فاستعذ بي منها فإنها لا تضرك.

**اللطيفة الرابعة**: أمر الله تعالى بالاستعاذة برب الفلق وهو على قول كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والأرحام عن الأولاد إلى غير ذلك، وفي هذا إشارة إلى أن الشدة تفلق بالفرج، وإلى أن العسر يخرج منه اليسر، وإلى أن الضراء تولد السراء.

**اللطيفة الخامسة**: المستعاذ به في هذه السورة وهو الله عز وجل مذكور باسم واحد وهو الرب، والمستعاذ منه ثلاث آفات هي الغاسق والنفاثات والحاسد .

أما في سورة الناس فإن المستعاذ به وهو سبحانه مذكور بثلاثة أسماء الرب والملك والإله، والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الشيطان، والمطلوب في سورة الفلق سلامة النفس والبدن لأن الغاسق والنفاثات والحسد والحاسد هي تصل بأذيتها إلى النفس والبدن، والمطلوب في سورة الناس سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت.

**اللطيفة السادسة**: أن الله تعالى ذكر الاستعاذة بالليل إذا دخل لماذا؟ لأنه مظنة الأذى لانتشار الأرواح الشريرة والحيوانات المؤذية، وقد قيل: (الليل أخفى للويل).

**اللطيفة السابعة**: قوله عز وجل ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ "ما "هي الموصولة بمعنى الذي، فهي تدل على العموم فيدخل فيها كل ذي شر، فيدخل فيها شرور النفس، وقد جاء عند أحمد أن النبي ﷺ قال: **((ونعوذ بالله من شرور أنفسنا))**.

**اللطيفة الثامنة**: ﴿**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ إشارة إلى عظم شر السحر، لأنه سبحانه خصه بالاستعاذة، فهو يقتل ويُمْرض ويفرق بين المرء وزوجه ،لكنه لا يضر إلا بإذن الله تعالى، كما قال سبحانه ﴿**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة:102].

**اللطيفة التاسعة**: زعم الزمخشري أنه يجوز أن يكون المراد بالنفاثات النساء ذات الكيادات كما قال تعالى﴿**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ [يوسف:28]تشبيهًا لكيدهن بالسحر في تأثيره، أو أنه يجوز أن يكون المراد بالنفاثات النساء اللاتي يفتنّ الرجال بعرض مفاتنهن فكأنهن يسحرن الرجال بذلك.

**اللطيفة العاشرة**: ذكر ابن عطية في تفسيره أن بعض الثقات حدثه أنه رأى عند بعضهم خيطًا أحمر قد عقدت فيه عُقد على فصلان، والفصلان هي أولاد الناقة، فمنعت رضاع أمهاتها، فكان إذا حلّ عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه في الحين ورضع.

**اللطيفة الحادية عشرة**: خص الله الاستعاذة بالحسد في هذه السورة لعظم شره .

وقد قيل:

كل العداوات قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك عن حسد

فالحاسد يريد السعي الخبيث وإيذاء المحسود كيف قدر، لأنه عدوٌ مجدٌ ممتحن.

**اللطيفة الثانية عشرة**: قوله تعالى ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ أي إذا أصاب بعينه من يحسده، وقد قيل: (عين الحاسد لاقفة) .

والمشروع لمن رأى شيئًا يعجبه أن يدعو بالبركة، فقد جاء عند الحاكم أن النبي ﷺ قال: **((إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه ما يعجبه فليدع بالبركة))**.

**اللطيفة الثالثة عشرة**: قوله ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ الحسد مرض نفسي، وهو غالبٌ لا يسلم منه إلا القليل، ولهذا قيل: (ما خلا جسد من حسد لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه) .

وقيل للحسن البصري أيحسد المؤمن؟ فقال: (ما أنساك إخوة يوسف لا أبَ لك، ولكن عَمّه في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم تَعْدُ به يدًا ولسانًا) .

ولهذا قال سبحانه في هذه الآية "إذا حسد" أي إذا سعى إلى الإيقاع بالمحسود بالقول أو بالفعل.

**اللطيفة الرابعة عشرة**: يحفظ العبد من كيد الحسود الصبر والتقوى، قال تعالى ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾ [آل عمران:120].

والصبر والتقوى تحتاج إلى مجاهدة ،قال سبحانه ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [آل عمران:186]

والصبر والتقوى سبب للمدد الإلهي والإعانة الربانية كما قال تعالى ﴿**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ [آل عمران:125].

وهذا هو أنجع علاج في مواجهة الحسد، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام لما حسده أخوته ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف:90]

وذكر الله عز وجل الصبر، لأن الحاسد قد يطول أمده، وقد يكون هذا الحاسد قريبًا ولا يستطيع الانفكاك منه، ولهذا أمر الله عز وجل بالصبر.

**اللطيفة الخامسة عشرة**: ذكر ابن عطية أن سورة الفلق خمس آيات فقال إن بعض الحذاق ذُكر أن ذلك هو مراد الناس بقولهم الخمس على عينيك، يعنون سورة الفلق، ثم قال ابن عطية :وقد غلطت العامة في هذا، فيشيرون بالأصابع لكونها خمسة .

أقول: ولا دليل على هذا الفعل، فهو عمل غير مشروع.

**اللطيفة السادسة عشرة**: تأخذ هذه السورة العبد من المعاني المحسوسة إلى المعاني المعقولة، فذكر الله عز وجل الفلق وهو شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض، وذكر الغاسق وهو ظلمة الليل، وهذه معاني محسوسة، لينتقل العبد إلى المعاني المعقولة، وهي الفرج واليسر والتيسير .

**اللطيفة السابعة عشرة**: ختم الله الشرور بالحاسد إذا حسد ليعلم أنه شرها، وهذا مستفاد من عمومه فإن العبد قد لا يصيبه شيء من ظلمة الليل، وقد لا يصيبه أذى السحرة، لكنه في الغالب لا يسلم من شر الحساد فيوطن العبد نفسه على ذلك.

**اللطيفة الثامنة عشرة**: من استعاذ بالله أعاذه، فإن يوسف عليه السلام استعاذ بالله من كيد المرأة ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف:23]فوهبه الله عز وجل وقال ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف:24]واستعاذ بالله أن يظلم إخوته فـ ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ**﴾ [يوسف:79]فوهبه الله عز وجل فقال ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾ [يوسف:100].

واستعاذت مريم عليها السلام بالله تعالى ﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا**﴾ [مريم:18]فوهبها الله عز وجل أن برأها وأنطق ولدها في المهد **ـ** ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ [مريم:30].

**اللطيفة التاسعة عشرة**: الاستعاذة تكون من الخائف، وفي هذا إشارة إلى أن الخوف حالٌ في القلوب، مسيطرٌ على النفوس، غالبٌ على أكثر الخلق إلا من أمّنه الله تعالى، فهم يخافون من العين، أو الظلمة، أو السحر أو غيرها من سائر المؤذيات وبقية الآفات، ويدخل الشيطان على الناس فيزيدهم خوفًا، ولهذا يأتي أثر الاستعاذة بالله عز وجل في تحقيق الأمن للناس.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.